جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة: الأولى

المادة: التعبير والإنشاء

عنوان المحاضرة: الشَّاهِد الشِّعْرِي

مدرس المادة: د. أسراء شريف فهـد

الشَّاهِد الشِّعْرِي

تعريف الشاهد الشعري:

الشَّاهد(لُغةً): اسم فاعل من الفعل(شَهِدَ)، و(شهد) أصلٌ يدلّ على حضور وعلم إعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن ذلك.

أَمّا الشَّاهِدُ عند المفسرين فقد قال أَبو البقاء الكَفَويّ(١٠٩٤هـ) في كتاب الكُليّات: ((قال المفسرون: (شَهِدَ) بمعنى (بَانَ) في حق الله تعالى، وبمعنى(أَقرَّ) في حقّ الملائكة، وبمعنى(أَقَرَّ واحْتجَّ) في حقّ أُولي العِلْم من الثقلَين))

ويُطلق الشاهد في اللغة على معان متعددة، منها: الحاضر الذي يحضر الأمر ويشهده، ومنها: اللسان، من قولهم: (لفلان شاهدٌ حَسَنٌ)، أَي : عبارة جميلة.

ومنها: الملك، ومنه قول الأعشى :

فلا تَحْسَبَنِّي كافِرًا لك نِعْمَةً ... على شاهدي يا شاهد الله فاشهد

ومنها: الشاهد عند القاضي والحاكم، وهو الذي يُبَيِّنُ ما يعلمه ويشهد به أمام القاضي، ومن ذلك قوله: {شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ}(التوبة:١٧)، وغير ذلك من المعاني.

وأمّا **الشاهد(اصطلاحا)** فهو: الشِّعْرُ الذي يُسْتَشْهدُ به في إثْبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة، او تركيب، لكونه من شِعْر العرب الموثوق بعربيتهم.

معايير الاستشهاد بالشعر

وضع العلماء لصحّة الاستشهاد بالشعر معيارين أساسيين ودقيقين يتمّ من خلالهما قَبُول الشاهد أو رفضه، وذلك للحَدِّ من التوسُّع في قبول ما لا يُطْمأنّ إليه منه، وهذان المعياران هما:

١- المعيار الزمني:

وضع العلماء حدًّا زمنيًا لما يَصِحُّ الاحتجاج به من أقوال العرب، شعرًا أو نثرًا، فاتفق على جعل منتصف القرن الثاني للهجرة نهايةً لعصر الاحتجاج بشعراء الحاضرة، وجعل منتصف القرن الرابع الهجري حدًّا لشعراء البادية.

والمُعوّل عليه في تقسيم الشعراء إلى طبقات ضمن هذه المدة الزمنية هو تقسيمهم إلى أربع طبقات، وقد وضع أسس هذا التقسيم عبدُ الملك بن قُريب الأصمعيّ في كتابه(فحولة الشعراء)، ومحمد بن سلام الجمحي(٢٣١هـ) في كتابه(طبقات فحول الشعراء)، وهذه الطبقات هي:

الطبقة الأولى: طبقة الشعراء الجاهليين، وهم الذين عاشوا قبل مجيء الإسلام، ومنهم المهلهل وإمرؤ القيس وزهير وغيرهم.

الطبقة الثانية: طبقة المخضرمين، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ومنهم لبيد بن ربيعة، وحسّان بن ثابت(رضي الله عنهما)، وغيرهما.

الطبقة الثالثة: طبقة الإسلاميين، وهم الذين عاشوا في صدر الإسلام، ولم يدركوا الجاهلية، ومنهم جرير والفرزدق والأخطل وغيرهم.

الطبقة الرابعة: طبقة المولَّدين، ويقال لهم المحدثون، ومنهم بشار بن برد، وابو نواس وغيرهم.

٢- المعيار المكاني:

وهو ما يُمْكِن أَنْ يسمّى مقياس(البداوة والتحضر)، فقد قام اللغويون بمراجعة أشعار الشعراء للوقوف على بداوة هذا الشاعر وحضارة ذاك؛ لأنّ البداوة كانت شرطا من شروط الفصاحة، فنتج عن هذه المراجعة أَنْ حكموا على قسم من الشعراء بالضَّعْف وعدم الفصاحة ولِين اللسان، ممّا يُبْعد شعرهم عن الاستشهاد والاحتجاج، وذلك بسبب بعدهم عن البداوة، ومخالطتهم للحضر في المدن.

ولقد كان لهذا العامل أَثَرٌ بارِزٌ في الاستشهاد، فقد مَجَّدَ العلماءُ البادية واتجهوا شطرها، ووثَّقوا أهلها، فهي مَكْمَن الفصاحة والبيان، ولذلك كانت العرب في الحاضرة ترسل أبناءها للبادية للتربية على الفصاحة.

وعلى قدر توغّل القبيلة في البداوة في وسط الجزيرة العربية، ومنها بوادي نجد والحجاز وتهامة، تكون فصاحتها، وعلى قدر تحقق صفة البداوة في الشاعر يكون الاستشهاد بشعره، يقول الفارابي: ((وبالجُمْلة فإنّه لَمْ يُؤْخذ عن حضري قطّ، ولا عن سكان البراري ممّن كان يَسْكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لَخم ، ولا من جُذام ، فإنّهم كانوا مجاورين لأَهل مصر والقِبْط، ولا من قُضَاعة وغسّان ولا من إيّاد، فإنهم كانوا مجاورين لأَهل الشام وأَكثرهُم نصارى يقرأون في صلاتهم بغير العربية، ولا من تَغْلِب ولا النَّمِر، فإنَّهم كانوا مجاورين للنَّبَط والفرس، ولا من عبد القيس، لأنَّهم كانوا سكان البحرين، مخالطين للهند والفرس، ولا من أَزْدِ عُمَان لمخالطتهم للهند والفرس، ولا من أَهْل اليمن أَصْلا لمخالطتهم للهند والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم، ولا من بني حَنِيفة وسكّان اليمامة ولا من ثَقِيف وسكان الطائف، لمخالطتهم تجّار الأمم المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأنّ الذين نقلوا اللغة، صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم)).

وهذا يدلُّ على أَنَّ العلماء كانوا يَحْرصون على الأَخْذ من الشعراء الذين ينتمون إلى البادية، ويضعون ما عداهم، ولا يلْجأون إلى الأخذ عن غيرهم إلا في أضيق الحدود ، وهذا المعيار قد جعل العلماء يذهبون إلى أَنَّه يُحْتَجُّ بشعر الفصحاء من شعراء الحضر الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والأمويين والعباسيين حتى نهاية القرن الثاني الهجريّ، وأما في البادية فيُحْتَجُّ بشعر شعرائها حتى نهاية القرن الرابع الهجري تقديرًا لبداوتهم وبُعْدهم عن تأثير اللَّحْن، فترى أهل العربية يحتجون بشعر ابن ميّادة، وأبي نخيلة الراجز، وأبي حية النُّميريّ، وإبراهيم بن هرمة، وكلهم بدوي فصيح، ولا يحتجُّون بمن عاصرهم من شعراء المدن مثل بشار بن برد ، والوليد بن يزيد، وأبي نواس، وأبي تمّام والبحتريّ؛ لأَنَّهم من أَبْناء المدينة والحاضرة المنقطعة.

أنواع الشاهد الشعري

الشواهد التي يُسْتَشْهَدُ بها في التفسير واللغة والنحو وغيرها متعددة، منها القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وكلام العرب نثرًا وشعرًا، والأمثال والخطب، وغيرها، وما يُهمنا هنا هو الحديث عن أنواع الشواهد الشعرية وأحيانا يُطْلَق الشاهد على البيت الشعريّ كلِّه دون تعيين الموضع الشاهد منه.

وتختلف أنواع الشواهد بحسب العلم الذي يراد الاستشهاد له، والمتتبع للشواهد الشعرية في كتب التفسير والدراسات القرآنية واللغوية يجد أنَّها لا تخرج من حيث الموضوعات عن الأنواع الآتية:

١- **الشواهد اللغوية:** وهي ما استشهد به المفسرون وأَصْحَاب الغريب والمعاني من الشواهد الشعرية في استعمال لفظة ما، من حيث علاقة اللفظ باللفظ، وما يتعلق به من موازنات، أَوْ من حيث علاقة اللفظ بالمعنى، وهو ما عُنِيَ به أصحاب المعاجم، أو من حيث علاقة اللفظ بالاستعمال، ويشمل ما صنَّفَه علماء اللغة من دراسات تدور حول الغريب، والدخيل، والموضوع، ونحو ذلك.

ومن الأَمْثلة على ذلك أَنَّ نافعاً بن الأزرق سأل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن تفسير قوله تعالى: {يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ} ((ما النحاس؟ فأجابه ابن عباس الله بقوله: هو الدُّخَان الذي لا لهب فيه، فقال ابن الأزرق: وهل كانت العرب تعرف ذلك؟ قال نعم، أَمَا سمعت بقول النابغة الجعدي:

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

يعني: دخانا))، قال الأزهري: ((وهو قول جميع المفسرين))

٢- **الشواهد النحوية:** يقومُ النَّحْو على أصول، منها الأدلة التي تفرعت عنها فصوله وفروعه، ويأتي في مقدمتها النَّقْلُ الذي يحتل شعر العرب مكانة بارزة فيه، إذ يأتي في صدارة الكلام العربي المُسْتشهد به في بناء قواعد النحو، والمُطالِع لمصنفات النحويين يجد ذلك ظاهرة بارزة، حتى أصبحت كلمة(الشاهد) تنصرف عند إطلاقها إلى الشاهد الشعري .

ومن الأمثلة على ذلك ما أَجازَه الفراء في حديثه عن قوله تعالى: {أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ} (إبراهيم :١٨) ، من الخفض على المجاورة، قال: وذلك من كلام العرب أن يتبعوا الخفض الخفض إذا أشبهه))، ثم استشهد على رأيه بشواهد من الشعر، منها قول ذي الرمة :

كأنَّما ضربت قُدَّام أعينها قطناً بمستحصد الأوتار محلوج

والشاهد في البيت جر(محلوج) للمجاورة ، أي لمجاورة الاسم المجرور، والأصل أن ينصب(محلوجًا)؛ لأنَّه نعت لاسم منصوب، وهو قوله(قطناً)، وهو من شواهد النحويين على الحمل على الجوار.

٣- الشواهد الصرفية: تَعْرِضُ كَثِيرًا للمفسرين والنحاة مسائل من الصرف أثناء تفسيرهم للمفردات القرآنية، يعالجونها بمناهج مختلفة، فمنهم من يتعرض لها باختصار، ومنهم من يطيل الوقوف عندها، والاحتجاج لما يذهب إليه من الرأي بشواهد الشعر الصرفية، وهذا النوع أقل من النوعين السابقين في كتب التفسير ومن أمثلة الشواهد الصرفية ما أورده المفسرون للاستشهاد على أن صيغة (فعيل) تأتي بمعنى(مُفْعِل) من ذلك قول الشاعر:

أمِن ريحانةَ الداعي السميعُ؟ يُؤرِّقُني وأصحابي هُجُوعُ

يريد: الداعي المُسْمِع ، وذلك عند تفسيرهم لقوله تعالى : {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}[البقرة ١٠]، بمعنى(مُؤْلِم)، وتفسير قوله تعالى {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[البقرة : ١١٧].

٤- الشواهد الصوتية: تعرض المفسرون في كتب التفسير لقضايا صوتية، كتسهيل الهمز، وتحقيقه، والإدغام، والإمالة، وغيرها، وأوْرَدوا الشواهد الشعرية التي تدعم ما ذهبوا إليه، وهي المقصودة بالشواهد الصوتية، ومن أمثلة هذه الشواهد ما جاء في تفسير قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ}التوبة٣٨] يقول الفراء(٢٠٧هـ): ((معناه، والله أعلم، تثاقلتم، فإذا وصلتها العرب بكلام أدغموا الثاء؛ لأنَهّا مناسبة لها، ويُحدثون ألفا لم يكن، ليبنوا الحرف على الإدغام في الابتداء والوصل، وأنشدني الكسائي (ت١٨٩هـ) شاهدًا فيه:

.... إذا ما اتَّابعَ القُبَلُ

والشاهد فيه قوله: (اتَّابَعَ)، معناه: تتابع، إلا أن التاء أُدْغِمَت فاحتيج إلى ألف الوصل، ومثله: (اثَّاقَلَ)، و (ادَّارَكَ)، أدغم فيهما المتقاربان، واجْتُلِبَت الألف لتيسير النطق)).

٥- **الشواهد البلاغية:** وهي كلُّ ما استشهد به المفسرون، والبلاغيون من الشعر لتوضيح وبيان مسالة بلاغية، وشواهد البلاغة لا تُعَدُّ شواهد بالمعنى الاصطلاحي الدقيق، فكثير منها ورد من باب التمثيل للقواعد التي وضعها البلاغيون ومن أمثلة هذا النوع من الشواهد ما أورده الإمام الطبري عند تفسير قوله تعالى: {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} [البقرة ٩٣]، وهو قول زهير:

فَصَحَوتُ عنها بعد حُبٍّ داخلٍ والحُبُّ تُشْرِبُهُ فؤادَك دَاءُ

إذ استشهد به على أنّ معنى الآية: (أشربوا حبَّ العجل)، وأنه ترك ذكر الحب اكتفاء بفهم السامع لمعنى الكلام، إذ كان معلوماً أنّ العجل لا يشرب القلب، وأن الذي يشرب القلب منه حبُّهُ.

٦- **الشواهد الأدبية:** وهي الأبيات من الشعر التي يتمثل بها الأديب أو المفسر للدلالة على معنى من المعاني التي تَعْرِضُ له في شرحه أو تفسيره، فهي للتمثل لا للاستشهاد، ولا تندرج تحت الشواهد اللغوية ولا النحوية، وإنّما أوردها المفسر لإيضاح المعنى الذي يرمي إليه ويقصده، وميدان التمثل بالأشعار واسعٌ لاستحسان الناس وحفظهم لهذه الشواهد.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الشواهد في كتب التفسير ما استشهد به القرطبي عند تفسير قوله تعالى : ((وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ)) [فصلت ٢٢] على أن الجوارح تشهد على الإنسان بما عمل ، وهي قول الشاعر :

العمر ينقص والذنوب تزيد وتُقال عثرات الفتى فيعودُ

هل يستطيع جحود ذنب واحد رجلٌ جوارحه عليه شُهودُ

والمرء يُسأل عن سنيه فيشتهي تقليلها، وعن الممات يَحيدُ

٧- **الشواهد التاريخية:** وهي أبيات من الشعر أو الأمثال والأقوال التي يمكن من خلالها إثبات حادثة تاريخية وقعت فجسَّدَها الشاعر في شعره ، وأصبح هذا الشعر دليلا على صدق وقوعها، بل لقد أَصْبح ضرورة لازمة لها يزينها ويكسبها ثقة وقوة في نفوس المستمعين والقارئين، ومن الأمثلة على ذلك أنَّ عامر بن شراحيل الشعبي، التابعي المعروف، سأل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن أوّل الناس إسلامًا، فأجابه ابن عباس بقوله: أوَ ما سمعت قول حسان بن ثابت، رضي الله عنه:

إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقة   فاذكر أخاك أبا بكر بما فَعَلا

خير البريّة أتقاها وأَعدلها   بعد النبيّ وأوفاها بما حَمَلا

الثاني التالي المحمود مشهده   وأَوَّل الناس منهم صدَّق الرُّسلا